سلسلة عرض وتقديم أعلام الدراسات القرآنية (٣)

دراسات لأسلوب القرآن الكريم

للشيخ الأستاذ الدكتور

محمد عبد الخالق عِضيمة

(رحمه الله)

الأستاذ بجامعة الأزهر ثم الأستاذ بجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

تأليف

د. خير الدين خوجة (الكوسوفي)

دكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية

جامعة طيبة - المدينة المنورة

2009

ح خير الدين بافتي خوجة ، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عضيمة ، محمد
دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ الأستاذ الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة. / محمد عضيمة ؛ خير الدين بافتي خوجة – المدينة المنورة ، ١٤٣٠هـ
٤٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٥-٢٤٠٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن – بلاغة ٢- القرآن – ألفاظ ٣- القرآن – بلاغة أ- خوجه، خيرالدين بافتي (مراجع) ب- العنوان
ديوي ٢٢٣,٢ ١٤٣٠/٢٥٧٣
رقم الإيداع : ١٤٣٠/٢٥٧٣
ردمك : ٥-٢٤٠٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى : رجب ١٤٣٠هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطابع الرشيد ☎ ٩٢٠٠٠٠٧٨٦

المحتوى

المقدمة		٤
المبحث الاول	: تعريف بالكتاب، وتقريظ الشيخ العلامة محمود شاكر رحمه الله،وفيه إبطال للمقولة:لم يترك المتقدمون للمتأخرين شيئاً	٦
المبحث الثاني	بداية المشروع، مقدمة المؤلف، منهجه، مصادر دراسته والدراسات السابقة	٩
المبحث الثالث	منهجه في تسجيل الظواهر اللغوية و انتقاده للنحاة المتقدمين	١١
المبحث الرابع	ملحوظة المؤلف على أئمة النحو، استدراك من المؤلف على المفسرين والحملة الآئمة التي ارتكبها النحويون	١٢
المبحث الخامس	طريقة الأستاذ في عرض تفاصيل هذه الدراسة، سؤال وجواب من المؤلف و بعض المآخذ المنهجية	١٤
المبحث السادس	نماذج من شبهات النحاة في تلحين القراء السبعة والرد عليهم والطوائف التي طعنت في القراءات	١٥
المبحث السابع	ملحوظة واستدراك من الباحث	١٧
المبحث الثامن	بعض النتائج الدراسة التي وقف عليها الاستاذ رحمه الله	١٨
المبحث التاسع	رأي وانطباعي عن الكتاب	١٩
المبحث العاشر	صفحات مختارة من الموسوعة القرآنية التي قمنا بعرضها	٢٠
الخاتمة		٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي المراجعة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه و سلم، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أولي النهى ومصابيح الدجى، الذين ملئوا الدنيا نوراً وكانوا سُرُجاً...أما بعد ؛

فهذه مراجعة وعرض لكتاب علمي كبير وموسوعة لغوية قرآنية قيمة حول أساليب القرآن الكريم اللغوية والنحوية، حيث لها علاقة وطيدة بعلم القراءات القرآنية ورواياتها المختلفة. لقد قام بهذا الجهد الموسوعي العظيم فرد من أفراد الأمة الإسلامية وعلَمٌ من أعلام العصر الحديث في هذا الفن هو الشيخ العلامة الأستاذ الدكتور عبد الخالق عضيمة رحمه الله.

هذه المراجعة وهذا العرض لهذا السِّفر العظيم المبارك تأتي من باب اهتمامنا في تفسير القرآن وعلومه وقراءاته ودفاعاً عن أئمة القراءات القرآنية رحمه الله، حيث وجد عبر التاريخ الإسلامي من النحاة واللغويين من طعن في أئمة القراءات المتواترة ولحَّن الروايات القرآنية التي لم توافق مذاهب النحاة واتجاهاتهم اللغوية، ناسين أو متناسين أمر القراءات بأنها مصدرها الوحي الإلهي وليس الاجتهاد أو القياس النحوي أو البشري.

وإمام هذه الدراسة المباركة لأساليب القرآن أثبت إعجاز القرآن الكريم في قراءاته ورواياته وأساليبه البيانية والبلاغية بأن القرآن الكريم وحي من عند الله، وأنه أعجز العرب البلغاء والفصحاء أئمة البيان والبلاغة في الجزيرة العربية. بعض هذه القراءات في الظاهر خالفت مذاهب واجتهادات النحاة واللغويين، ولا ضير في ذلك؛ لأن القراءة مصدرها والوحي التلقي والمشافهة، وإن كانت شاذة. بينما احتجاج النحوي بأشعار العرب المخالفة لأساليب القراءة المتواترة لا يرقى إلى درجة الوحي المتواتر.

والكتاب الذي نحن بصدد عرضه يعتبر أول دراسة تقوم على استقراء أسلوب القرآن في جميع قراءاته بما فيه الروايات المختلفة من طرق مختلفة. وهذه المراجعة جعلناها على شكل مباحث تسهيلاً للقارئ الكريم. نسأل الله عز وجل أن يتقبل هذا الجهد العظيم من شيخنا وأستاذنا العلامة عبد الخالق عضيمة رحمه الله، وأن يجعله في موازين حسناته، وأن يجعلنا من أمثاله ممن يخدمون كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم، إنه تعالى سميع قريب مجيب وهو تعالى نعم المسئول وأكرم مأمول.

خادم القرآن والسنة

الدكتور خير الدين خوجة

جامعة طيبة – المدينة المنورة

١٤٢٩/١١/١٤ هـ الموافق: ٢٠٠٨/١١/١٣ م

المبحث الأول: تعريف بالكتاب، وتقريظ الشيخ العلامة محمود شاكر رحمه الله،وفيه إبطال للمقولة:لم يترك المتقدمون للمتأخرين شيئاً

يقع الكتاب في أحد عشر مجلداً من الحجم الكبير، وعدد صفحات المجلد الواحد يزيد على ستمائة صفحة، فيصبح مجموع عدد الصفحات ستة آلاف وستمائة صفحة. طبع في دار الحديث – المركز الإسلامي للطباعة والنشر – شارع الأهرام — الإسكندرية، دون ذكر لسنة الطبع وعدد الطبعات.

أولاً :صدِّر الكتاب بقلم الأستاذ المحقق العلامة محمود محمد شاكر رحمه الله. و في تقديمه لهذا الكتاب أثنى الشيخ محمود محمد شاكر على صاحب الكتاب ثناء حسناً يليق بمقام العلمي للمؤلف، لما قدمه للأمة الإسلامية من ثروة عظيمة و خدمة جليلة لا يقدر ذلك إلا العلماء العالمون والعارفون لهذا الفن. فكان من جملة ما قاله الأستاذ الشيخ محمود شاكر رحمه الله:

"فماذا يقول القائل في عمل قام به فرد واحد، لو قامت عليه جماعة لكان لها مفخرة باقية، فمن التواضع أن يسمى هذا العمل الذي يعرضه عليك هذا الكتاب **(معجماً نحوياً صرفياً للقرآن العظيم)** ".

ثم عقب الأستاذ الشيخ محمود شاكر رحمه الله قائلاً:

" فمعلوم أن جل اعتماد المعاجم قائم على الحصر والترتيب. أما هذا الكتاب فالحصر والترتيب مجرد صورة مخططة معتمد عليها. أما القاعدة العظمى التي يقوم

عليها فهي معرفة واسعة مستوعبة تامة لدقائق علم النحو وعلم الصرف وعلم اختلاف الأساليب.."

أما عن المدة التي استغرقت في تأليف هذا الكتاب فقد ذكرها الأستاذ الشيخ محمود شاكر رحمه الله بأن الأستاذ الشيخ عبد الخالق عضيمة أفنى في تأليف هذا الكتاب خمسة وعشرين عاماً، ولعل هذه المدة التي قضاها في تأليف الكتاب كان قبل أن يكمل كتابة الكتاب كله، وهذا هو الصحيح، وبدليل أن المؤلف ذكر ذلك في كلمته الختامية ما يدل على هذا. فلأهمية هذه الحقيقة نذكر كلام المؤلف – رحمه الله –

قال الأستاذ الشيخ المؤلف رحمه الله :

"..فقد أذن الله لهذا البحث أن يكتمل و أن يرى النور بعد أن أمضيت في إعداده وطباعته ما يزيد على ثلاثة وثلاثين عاماً تابعت فيها الدرس ووواليت البحث من غير كلل و لا ملل، فجاء في أحد عشر جزءاً ضخماً: القسم الأول ثلاثة أجزاء، و القسم الثاني في أربعة أجزاء، والقسم الثالث في أربعة أجزاء. ولقد كنت أخشى أن يحول الأجل دون الأمل، فالحمد لله والشكر له على أن مد في عمري وهيأ لي الأسباب التي مكنتني من طباعته. وما من شك أن هذه الدراسات قد أثْرَت الدراسات النحوية إثراء عظيماً، حفلت بالكثير من الطرائف والفوائد والفرائد، وما ذاك إلا لكثرة المراجع التي اعتمدت عليها وتنوعها، ولم أقتصر على كتب التفسير وحدها و إنما شملت القراءات كثيراً من الكتب المختلفة، كما ارتكزت هذه الدراسات على استقراء أسلوب القرآن و قراءاته المتنوعة .."

ثم يضيف المحقق العلامة محمود شاكر رحمه الله عن الأستاذ المؤلف قائلاً:

".. ولم يسبقه أحد في هذا العمل، ولا أن أحداً من أهل زمانه كان قادراً عليه بمفرده، بسبب الصبر والجلد ومعرفة وأمانة في الاطلاع ودقة في النقل والتي لم يجدها الشيخ محمود شاكر عند غيره..

ويقول المقدم إن حروف المعاني التي تناولها هذا القسم الأول من الكتاب هي أصعب الأبواب والأمور لكثرتها وتداخل معانيها، وقل أن تكون هناك آية في القرآن الكريم تخلو من هذا الحرف، حيث أن الأستاذ عبد الخالق استدرك على كبار و مشاهير النحاة منذ سيبويه إلى ابن هشام، و هذا لا يعني أن نبخس بحق هؤلاء الذين تفوقوا بشكل يذهل العقول، و لكن هذا الحصر الدقيق لم تكن عندهم، الذي وجد عند الأستاذ عبد الخالق، ولعل سبب ذلك يعود إلى وجود الأجهزة الحديثة و سهولة الطباعة. ودعا الشيخ محمود شاكر إلى القيام بعمل جماعي لمتابعة حالات هذه الحروف في الشعر كما تابع الأستاذ في القرآن الكريم.

وأخيراً قال الشيخ محمود شاكر رحمه الله:

" والشيخ حفظه الله لم يترك مجالاً للاستدراك على عمله العظيم، فكل ما أستطيع أن أقوله إنما هو ثناء مستخرج من عمل يثني على نفسه..".

المبحث الثاني: بداية المشروع، مقدمة المؤلف، منهجه، مصادر دراسته والدراسات السابقة

بدأ المؤلف مقدمته بالحمد على الله والثناء عليه سبحانه بما هو أهله، وذكر أن هذا البحث الذي بين أيدينا رسم خطوطه ونسج خيوطه بقراءاته الكثيرة والواسعة، وذلك بهدف الوضع للنحو **معجماً نحوياً صرفياً** يُرجع إليه متى ما دعت الحاجة إليه، لمعرفة ورود تلك الأساليب في القرآن الكريم، وكذلك لمعرفة ورود القراءات الشاذة والمتواترة.

وذكر المؤلف في مقدمته قضية مهمة حيث أكد على كون القرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة. والقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأناً عن أوثق ما نقل من ألفاظ اللغة، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يُكتفى فيه برواية الآحاد. وأيضاً ذكر المؤلف أن القراءات كانت ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس وفيها دفاع عن النحو و اللغة.

ذكر المؤلف أن هذا العمل كان قد بدأه بمكة المكرمة في شهر يناير سنة ١٩٤٧ م، وكان من ثمرة هذا العمل أن كتب مجلدات ضخمة، كل مجلد (١٠٠٠)صفحة.

أما عن منهجه الذي سلكه في تأليف هذا الكتاب قال رحمه الله:

" أن الذين قاموا لفهرسة القرآن الكريم قاموا بحصر ألفاظ الأفعال و بعض الأسماء وإحصاء آياتها، ولكنهم تركوا هذا الإحصاء في الحروف و الضمائر و أسماء الإشارة

وأسماء الموصولة و بعض الظروف الكثيرة؛ كإذ و إذا..فبدأ الأستاذ الشيخ رحمه الله بإحصاء حروف المعاني وجمع آياتها لكل من هذه المصادر الآتية:

أ- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد عبد الباقي.**

بـ - المرشد إلى آيات القرآن وكلماته للأستاذ محمد فارس بركات.

جـ - فتح الرحمن لطالب آيات القرآن للأستاذ فيض الله العلمي وغيرها من الكتب.

ثم إن الأستاذ عبد الخالق عضيمة رحمه الله ذكر أنه كان قد وقف على كتاب آخر قد قام مؤلفه بإحصاء جميع ألفاظ القرآن الكريم دون أن يترك لفظاً واحداً، و هذا الكتاب اسمه: **(مصباح الإخوان لتحريات القرآن)**، ليحي بن حسين قسطموني، مع عدم ذكره للآيات مكتفياً بذكر أرقام الآيات فقط، وهذه الأرقام فيها اضطراب للأسف الشديد، ولكن المؤلف يحيى بن حسين اعتذر من هذا الخلل المنهجي في مقدمته التي كتبها باللغة التركية بأنه لم يكن لديه مصحف مرقم، والمصحف المفسر لم يظهر إلا بعد فراغه من كتابه، و هذا الإحصاء أخذ من المؤلف مجلداً ضخماً .

إن الأستاذ الشيخ عبد الخالق رحمه الله نظر في الكتب التي عنيت بإعراب القرآن، مثل: **(البحر المحيط)** لأبي حيان، و**(الكشاف)** للزمخشري، و**(إملاء ما من به الرحمن للعكبري)**، و**(البيان للأنباري)**، و**(حاشية الجمل)**، وغيرها فلخص ما فيها من أعاريب و رتبها ترتيب أبواب النحو و الصرف، فهذا العمل أخذ من المؤلف مجلدين ضخمين.

ثم إن الأستاذ عبد الخالق قام بقراءة كتب القراءات السبعية و العشرية الشاذة من شراح الشاطبية **(لابن القاصح)**، و **(غيث النفع في القراءات السبع)**، و **(النشر لابن الجزري)**، و **(إتحاف فضلاء البشر)**، للبنا و **(المحتسب)**، لابن جني و **(شواذ القرآن لابن خالويه)**، و أضاف إليها ما ضمه **(البحر المحيط)**، من القراءات وتوجيهها، و لخص ما في هذه الكتب و رتبها على أبواب النحو و الصرف، فأخذ منه هذا العمل ثلاث مجلدات .

ثم إن الأستاذ عبد الخالق رأي أن الكتب المصنفة في فهرسة ألفاظ القرآن لا يتأتى النفع بها إلا إذا رتبت ألفاظ القرآن ترتيب أبواب النحو والصرف، فأخذ هذا العمل منه مجلدين كبيرين، فيصبح مجموع المجلدات المؤلفة ثمانية مجلدات .

هذه هي خطواته الأولى في هذا البحث و تدور حول مرحلة واحدة كما ترى، و هي مرحلة الجمع و الإعداد، وقد أخبر الأستاذ بذلك عن هذه الخطوات و سجل بعض تلك المظاهر اللغوية في القرآن في مقالات مختلفة له نشرت بمجلة الأزهر من يناير ١٩٦٠ ،بعنوان: **دراسات لأسلوب القرآن** ،ثم إنه توقف عن الكتابة لأنه كما قال لا يدري متى ينتهي.

المبحث الثالث: منهجه في تسجيل الظواهر اللغوية وانتقاده للنحاة المتقدمين

أولاً: في دراسة حروف المعاني كان يطالع ويقرأ ويجمع النصوص ما ذكره النحويون عن الحرف من سيبوبه منتهياً بابن هشام

ثانياً: الرجوع إلى كتب التفسير والإعراب في آيات كل حرف آية آية وجمع نصوصها.

ثالثاً: إنعام النظر في الآيات في كل حرف وما فيه من قراءات.

رابعاً: تسجيل الظواهر اللغوية والنحوية على ضوء ما تم جمعه من النصوص.

المبحث الرابع: ملحوظة المؤلف على أئمة النحو، استدراك من المؤلف على المفسرين والحملة الآثمة التي ارتكبها النحويون

لقد ذكر الأستاذ عبد الخالق عضيمة رحمه الله في مقدمة كتابه بعض الملاحظات على النحويين القدامى مثل سيبويه من أنه لم يكن له استشهاد كثير بالقرآن الكريم كاستشهاده بالشعر و أن هذا الطابع غلب عليه واستبد بجهده. فشواهده الشعرية كما ذكره النحاس في شرحه للشواهد هي (١٠٥٠) و هي في النسخة المطبوعة (١٠٦١)، على حين أن استشهاده بالقرآن لم يتجاوز (٣٧٣). وكذلك نهج المبرد نفس المنهج في المقتضب.

و قد كان للنحويين قوانين كثيرة لم يحتكموا فيها لأسلوب القرآن الكريم فمنعوا أساليب كثيرة جاء نظيرها في القرآن..(أنظر بحث: –كل–) التي تأتي مضافة إلى نكرة في أن تلي العوامل.

واستدرك المؤلف أيضاً على المفسرين المعربين، عندما منع النحويون مجيء الاستثناء المفرغ بعد (ما زال وأخواتها). ودل إحصاء الأستاذ الشيخ رحمه الله أن الفعل الماضي جاء بعد (إلا) و ليس فيه أحد الشرطين الذي اشترطهما الرضيّ، و هما: أ – أن يتقدم (إلا) فعل ماض، ب – وأن يقترن الماضي بـ: (قد) .و أثبتت دراسة الأستاذ أنه جاء الفعل الماضي بعد إلا و ليس فيه أحد الشرطين و ذلك في ثمانية عشر موضعاً (أنظر موسوعته: **دراسات لأسلوب القرآن** ، ص :١٨٨– ج ١) .

ورد المؤلف على النحويين الذين قالوا بأن القرآن خلا من بعض الأساليب اللغوية، حيث قال رحمه الله، بأن ذلك كان من قبيل دعوى بلا دليل، ثم فند الأستاذ عبد الخالق ذلك الادعاء بضرب بعض الأمثلة التي تنفي وتبطل ذلك الادعاء.

و الحملة الآثمة (كما سماها المؤلف) التي ارتكبها النحويون كانت عندما قالوا بأن القراء أيضاً رووا قراءات ملحنة و مخالفة للأقيسة النحوية، و أدخلوا في هذا اللحن القراءات المتواترة أيضاً، ونسوا بأن الإمام الشاطبي و غيره من علماء القراءات الأفذاذ قالوا: **(و ما للقياس في القراءة مدخل)**، و إنما أمر القراءات أو الروايات القرآنية ؛ الوحي والتلقي و المشافهة.

ثم شرع المؤلف في حديثه مباشرة بالدفاع عن القراء وأئمة القراءات والنقد الشديد على النحاة فقال: " هذه الحملة الآثمة استفتح بها وحمل لواءها نحاة البصرة المتقدمون ثم تابعهم غيرهم من المحدثين والمفسرين ومصنفي القراءات..".

ثم عقب الأستاذ عبد الخالق قائلاً: إن كتب هؤلاء المشار إليهم قد تضمنت نصوصاً كثيراً من الطعن على هؤلاء القراء الذين تواترت قراءاتهم في السبع، ثم أورد كلام النحاة كالزمخشري و ابن قتيبة و أبي عثمان المازني و ابن مطرف و حديثهم عن قلة الضبط لدى هؤلاء القراء!

والذي يبدو للباحث والدارس لهذا الكتاب أنه كان من الأفضل والأولى سكوت النحويين و عدم تعرضهم إلى طعن القراء الأفاضل الثقات، الذين تلقوا القرآن مشافهة كابراً عن كابر إلى يومنا هذا. حيث إن القراء الثقات لم يكن لهم تدخل شخصي أو اجتهادي في أمر القراءات إلا الرواية المتقنة الثابتة والمتواترة، لأن الطعن في القراء فيها طعن لكتابنا العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و الذي نقل إلينا

من طريق هؤلاء إلى يومنا هـذا. والمستشـرقون ونهـج نهجهـم مـن العلمـانيين يتمنـون أن يسمعوا مثل هذا الكلام ومثل هذه المطاعن ضد القراء وأئمـة القـراءات حتـى يسـهل لهـم الطعن كما فعل جدهم الهنغاري إغناز غولد زيهر، كما فعلوا أيضاً برواة الحديث النبوي الشريف. و لا أبالغ هنا إن قلت أن المستشرقين وجدوا ثـروة ضـخمة مـن المـادة العلميـة لدى هؤلاء النحاة المشـككين للنيـل و التشـكيك في القـراءات والقـراء و أخـيراً في القـرآن الكريم.

المبحث الخامس: طريقة الأستاذ في عرض تفاصيل هذه الدراسة، سؤال و جواب من المؤلف و بعض المآخذ المنهجية

١- قدم قبل كل دراسة حرف صورة واضحة موجزة لعناصر الدراسة التفصيلية وعنون لذلك: لمحات عن دراسة...ثم بين تفاصيلها، وقد شبه المؤلف رحمه الله هذه المقدمة الموجزة بمقدمة موجزة للأنباء و الأخبار ثم ذكر التفصيل..

٢- قرب هذه الدراسة إلى نفوس القراء على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم.

٣- هذا المنهج كفل الأستاذ حرية نقل النصوص في الدراسة التفصيلية، والناظر لهذا الكتاب يستغني عن الرجوع إلى شيء من كتب النحو لما فيه من حشد للمراجع الكثيرة المشهورة.

٤- كان جل الاعتماد على أهم كتب التفسير والإعراب: البحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري، وكان للأستاذ مناقشات وردود لأبي حيان لأنه كان يُخَطِّئ الزمشري ثم ينقل منه.

سؤال وجواب **من قبل الأستاذ الشيخ عبد الخالق رحمه الله:**

إن كتاب: **(مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)** لابن هشام قد أغنى القراء في دراسة الحروف و الأدوات فلماذا تأليف هذا الكتاب و الدعوة إليه..؟

الجواب:

أن ابن هشام تكلم عن **(إلا)** الاستثنائية في القرآن فلم يتجاوز حديثه ٥٠-٦٠ سطراً، أما حديثي عن **(إلا)** الاستثنائية في القرآن وحده (١٥٣) صفحة، تزيد على ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) سطر.

أما عن طريقة تأليف الأستاذ الشيخ عبد الخالق عضيمة رحمه الله لكتابه، فلم يكن كتابه مرتباً على شكل الأبواب والفصول والمباحث على طريقة المحدثين، وإنما التزم طريقة القدامى في التأليف والكتابة مع تطور يسير في ذلك، و قد يكون هذا من المآخذ عليه.

المبحث السادس: نماذج من شبهات النحاة في تلحين القراء السبعة والرد عليهم والطوائف التي طعنت في القراءات

١- الاعتماد على ما وضعوا و سنوا من قواعد، وخفي عليهم توجيه القراءة، مثل ما فعلوا في قوله تعالى(**هِئْتَ لك)** قرئ بكسر الهاء و فتح التاء، و الفارسي لم يعرف لها وجهاً فقال في كتابه الحجة أنها: " وهمٌ من القارئ " ! ! و بينما لو رجع إلى توجيهها لوجد أن معناها يكون: **(أي تيسر أمرك لي)**

٢- أحياناً ينظر بعضهم إلى الشائع من اللغات ويغفل عن غيرها.

٣- وفي بعض الأحيان يزعم بعضهم أنه أحصى أوزان العربية فوجدها تخلو من بعض الأوزان فيلحن ما جاء عليها من قرارات.

٤- حتى القراءات المتواترة لحنها النحويون، مع أن ذلك موافقة لأقيستهم أحياناً، كقوله تعالى: **(فقاتلوا أيمةِ الكفر)** بإبدال الهمزة ياء .

لقد قام الأستاذ عبد الخالق بإحصاء وتتبع دقيق، حيث إنه رحمه الله أورد تلك المواضع التي زعم فيها النحاة أنها تخالف أقيسة النحو. ولا بد هنا من بيان نقطة مهمة للغاية التي توصلت إليها أثناء القراءة والمراجعة، ألا وهي: أن النحويين عندما لحنوا

القراء وطعنوا في قراءاتهم؛ الشيء الغريب والملاحظ عندهم و المثير للجدل والدهشة أنهم اعتمدوا في رفض القراءات إلى أذواقهم الشخصية أو رغباتهم الفردية. يظهر ذلك جلياً عندما نقرأ مثل هذا الكلام مثلاً:" أنكرها النحاس..أنكرها أبو عبيد... و أبو حاتم قائلين: التسكين من وهم القراء !! كتبها الكاتب و هو ناعس!! لا أحب هذه القراءة !! فمثل هذا الكلام غريب ولا يرتفع إلى مقام الحجة والقبول، فتأمل حفظك الله !

ثم ذكر الأستاذ الشيخ عبد الخالق عضيمة رحمه الله الطوائف التي لحنت القراءات من الصحابة والتابعين والقراء والنحاة ومصنفي القراءات.

فذكر من الصحابة من طعن في القراءات مثل عائشة وابن من النحويين القراء: أبو عمرو العلاء، الكسائي، الفراء، وأبو عثمان المازني و أبو الحسن الأخفش، و من النحويين: سيبويه،

ومن المفسرين: ابن جرير الطبري وعُدّ ذلك من سقطاته، ومن مصنفي القراءات: أبو بكر بن مجاهد وعاصم الجحدري وغيرهم.

المبحث السابع: ملحوظة و استدراك من الباحث

في حديث الأستاذ عن حرف (**أنى**) واستعمالاتها في القرآن الكريم قال:

" ذكر سيبويه لأنىّ معنيين هما :كيف و أين..و ذكر أبو حيان في البحر ج٢- ١٥٦، أن (**أنى**) تأتي بمعنى (**متى**)، ولكنه لم يخرج على ذلك المعنى آية من الآيات، بل كان يكتفي بكيف و من أين. و قال بذلك الرضيّ أيضاً، و أجاز في قوله تعالى : **(فأتوا حرثكم أنى شئتم)** أن يكون بمعنى: (**كيف**) و هذا الكلام المطلق من قبل الأستاذ الشيخ رحمه الله؛ فيه خطورة لا تخفى على ذوي الألباب لما تترتب عليها

قضية و مسألة فقهية مهمة، قد تجد بعض الفرق الدينية المنحرفة عن منهج أهل السنة و الجماعة بغيتهم و تبريرهم لما يذهبون إليه من أعمال ويقترفون من الكبائر، مثل قضية إتيان المرأة في دبرها.

و الذي يراه الدارس والباحث لكتابه أن كان من المستحسن على الشيخ الأستاذ المؤلف رحمه الله أن يذكر احترازات هذا الكلام و أنه ليس على إطلاقه، وخاصة عندما نعلم أن قوله تعالى: **(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)**، البقرة: ٢٢٣، فإنه يمكن أن يفهم من هذا الكلام؛ كما فهم بعض غلاة الشيعة من أنه يجوز إتيان المرأة في دبرها، وذلك بدليل أن من إحدى معاني **(أنىّ)** هي: **(أين)**، و معنى الآية السابقة عندهم يكون: **(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أين شئتم)**.. في موضع الحرث أو غير موضع الحرث (أي سواء في الفرج أو الدبر)!! وهذا الفهم السقيم لا يستقيم مع المعنى الصحيح للآية، بل هو تحريف لمعناه. والأستاذ رحمه الله ذكر ذلك و استدركه في أواخر حديثه عن حالات (أنى) و تحت رقم ٦، قال: " في غير الآية السابقة كانت (أنى) استفهامية بمعنى: كيف ومن أين،و هذا بيانها..[1]، و لكن هذا البيان الجزئي جاء متأخراً عن موضعه، كان الأولى في حقه أن يستدرك هذه الحقيقة في موضعه حتى لا يأخذ القارئ انطباعاً معيناً أو يستنبط حكماً خاطئاً من معنى الآية السابقة، و الله أعلم.

المبحث الثامن: بعض نتائج الدراسة التي وقف عليها الأستاذ الشيخ رحمه الله

[1] أنظر :المصدر السابق :ج١-٥٦٨

كان منهج الأستاذ عبد الخالق عضيمة علمياً و صائباً للغاية في تأليف هذا الكتاب، حيث وضع فيه مقدمات هامة و بنى عليها نتائج لا مناص و لا انفكاك من رفضها. لقد أثبت من خلال منهجه و دراسته هذه النتائج:

١- أن القراءة لا تتبع العربية و إنما العربية تتبع القراءة لأنها مسموعة من أفصح العرب بالإجماع وهو النبي صلى الله عليه و سلم.

٢- إن قول النحويين ليس حجة بالإجماع في رفض بعض القراءات المتواترة، لأنه هناك من القراء من هو نحوي أيضاً، و لو قُدّر أنهم ليسوا من النحويين، فإنهم ناقلون للغة من العرب مثل النحويين، و أنهم ثقات و قراءتهم متواترة.

٣- من أكثر القراء الذين وقعوا ضحية للنقد لدى النحويين هما: ابن عامر الشامي وحمزة الكوفي و هما تابعيان جليلان و إمامان فاضلان من أئمة القراءة. و بالمقابل من أكثر النحاة الذين طعنوا في القراءات هو أبو حاتم السجستاني.

المبحث التاسع: رأيي وانطباعي عن الكتاب

هذا، و بعد أن عشنا في رحاب هذا المحيط اللغوي و القرآني العذب، و عشنا ما قدر لنا في أجواء هذه الموسوعة العلمية المباركة، و تكيفنا بهوائها الصافي النقي، و رأينا من جمال هذه الحديقة ما يبهر العيون و يدهش العقول و يأخذ بالأبصار..لم يبقى أمامنا خيار إلا أن نقول بأن المؤلف رحمه الله تعالى قد طلب العلا وسهر الليالي و حقاً قد نالها بعد جهد جهيد. و قد نال من الله ما كان يرجوه و يتمناه، واستجاب الله دعوته و حقق أمنيته و أمله و لم يحن أجله حتى أكمل هذا المشروع العمري المبارك، فكان بذلك أسوة حسنة وقدوة طيبة ومنارة شامخة يقتدى به في مسابقة الخيرات و إنجاز

المهام. والمحروم من الباحثين و الدارسين من لم يطلع على هذا الكتاب و لم يتعرف على صاحبه ولم يرجع إليه في الملمات و الأزمات العلمية لحل المعضلات اللغوية و مشكلاتها والوقوف على أسرار القراءات القرآنية. فهو مصدر أساسي و مهم لا يستغني عنه باحث أو دارس لعلوم القرآن أو التفسير في حال من الأحوال، فهو حقاً كتاب مغنٍ، يغنيك عن المصادر و المراجع الأخرى اللغوية وبخاصة في معرفة معاني تلك الحروف و الصيغ اللغوية التي وردت في القرآن الكريم، و معرفة القراءات ومدى موافقتها للغة العربية..فجزى الله أستاذنا و شيخنا خير الجزاء و أسكنه فسيح جنته، وجعلنا الله من أمثاله الذين يصبرون ويجدّون و ويصبرون و يصلون إلى ما يريدون، ويحققون ما يتمنون و يرجون فيَسْعدون، و يفيدون، و برضوان الله يستبشرون. حقاً إنها لمدة طويلة أن يصبر المرء حتى ينجز مشروعاً ضخماً عظيماً كهذا، واسع الأطراف و كثير الشعب، وخاصة إذا كان المرء وحده و لم يكن معه أحد سوى الله تبارك و تعالى، و من كان الله معينه كفاه في الدنيا و الآخرة، فإنه تعالى نعم المولى و نعم النصير و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة 13.11.2008

المبحث العاشر: صفحات مختارة من الموسوعة القرآنية التي قمنا بعرضها

و فيما يلي ملاحق و صفحات من الموسوعة المذكورة عسى الله عز وجل أن ينفع بها كل دارس و باحث في علوم القرآن و التفسير. وفيما يلي مقدمة وتقريظ الشيخ المحقق محمود محمد شاكر رحمه الله على هذه الموسوعة القرآنية و مقدمة المؤلف رحمه الله:

دراسات
لأسلوب القرآن الكريم

أول دراسة تقوم على استقراء أسلوب القرآن في جميع رواياته
تجاوزت الآيات والقراءات في هذا البحث أو أشير إليها
(٢٨٧٠٠)

القسم الأول

الجزء الأول

تأليف
محمد عبد الخالق عضيمة
الأستاذ بجامعة الأزهر

دار الحديث
القاهرة

تصـــدير

بقلم الأستاذ : محمـود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وَحْدَه لا شريكَ له ، أَنْزَل الكتابَ بالحقّ ، لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيْه ولا من خَلْفِه ، وصلّى الله على خِيرتِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، محمّدٍ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيراً ، بلَّغَ الرسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، وتَركَ الناس على المَحَجّةِ الواضحة بِنُورِ القرآنِ الذي لا يَخْبو نُورُه ، وضياءِ السنَّةِ التي لا يَخْفُتُ ضِياؤها .

وبعـدُ :

فماذا يقول القائل في عَمَلٍ قام به فَرْدٌ واحِدٌ ، لو قامتْ عليه جماعةٌ لكان لها مَفْخَرةً باقيةً ؟ فمن التواضُعِ أَنْ يُسَمَّى هذا العملُ الذي يَعْرِضُه عليك هذا الكتابُ « مُعْجَماً نَحْوِيّاً صرْفيّا للقرآن العظيم » .

فمعلومٌ أَنَّ جُلَّ اعتماد المعاجم قائمٌ على الْحَصْرِ والترتيبِ .

أمّا هذا الكتاب ، فالْحَصْر والترتيب مُجَرَّد صورةٍ مُخطَّطة يعتمِدُ عليها .

أمّا القاعدة العُظْمى التي يقوم عليها ، فهي معرفةٌ واسعةٌ مسْتوعِبةٌ تامّةٌ لدقائقِ عِلْم النحوِ ، وعِلْم الصرفِ ، وعِلْم اختلاف الأساليب .

ولولا هذه المعرفةُ لم يَتَيَسَّر لصاحبِه أَنْ يوقِّع في حصْره من حروف

المعاني وتصاريفِ اللغة على أبوابها من علم النحو ، وعلم الصرف ، وعلم أساليب اللغة .

وهذا العملُ الجليلُ الذي تولاه أستاذنا الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة والذي أفْنَى فيه خمسةً وعِشرين عاما طِوالاً ، والذي يَعْرِض عليك منه هذا القسمَ الأوّلَ إنما هو جُزْءٌ مِنْ عَملٍ ضَخْمٍ لم يَسْبقْه إليه أحدٌ ، ولا أظنّ أنّ أحداً من أهْلِ زماننا كان قادراً عليه بمفرده فإنّ الشيخ قد أُوتى جَلَداً وصبْراً ومعرفة ، وأمانةً في الاطّلاع ، ودِقّةً في التحرِّي لم أجدها متوافرةً لكثير ممّن عرفت

وحروف المعاني التي يتناولها هذ القسمُ الأوّلُ من جَمْهَرةِ علم القرآن العظيم[1]، أصْعَبُ أبواب هذه الْجَمْهرةِ ؛ لكثرتها وتَدَاخُلِ معانيها . فقلّ أن تخلُوَ آيةٌ من القرآن العظيم من حرْفٍ من حروفِ المعاني .

أمّا المشقَّةُ العظيمةُ ، فهي في وجوهِ اختلافِ مواقِع هذه الحروفِ من الْجُمَلِ ؛ ثمّ اختلافِ معانيها باختلافِ مواقِعها ، ثمّ ملاحظةِ الفروقِ الدقيقة التي يَقْتضيها هذا الاختلافُ في دلالته المؤثّرةِ في معاني الآيات وهذا وَحْدَه أساس عِلْمٍ جليلٍ من علوم القرآن العظيم .

وسترى في هذا القسم العَمَلَ المُتْقَنَ الذي تولاّه أستاذنا الجليل ، مواضعُ كثيرةٌ من الاستدراكِ على النحاة منذ سيبويه إلى ابن هشام ولكن

---

(١) « الجمهرة » هذه اللفظةُ وضعتها لما نسميه في هذا الزمان « دائرة المعارف » أو « الموسوعة »

(و)

وهذه التصاريف ، تُؤثِّر في المعاني ، وتُؤثِّر في الأساليب ، وتُحدِّد الفُروق الدقيقةَ بين عبارةٍ وعبارة وأَثَرها في النفْسِ الإنسانيّة وأَثَر النفْسِ الإنسانيّة فيها ، وفي دلالاتِها .

وإذا كان أستاذنا الجليل قد تواضع فظنّ أنّه قد وضع أساساً عِلْميّا ثابتاً للحكْم على أساليب القرآن ، وموقعها من النحو والصرف ، فإني أظنّ أنّه قد فات ذلك وسبَقه ، فهيّأ لنا أساساً جديداً للنظر في « إعجاز القرآن » نظرةً جديدةً تُخْرِجه من الْحَيِّزِ القديم ، إلى حيِّزٍ جديدٍ يُعين على إنشاءِ « علم بلاغة » مسْتَحْدَثٍ . فإنّه مهما اختلف المختلفون في شَأْنِ « البلاغة » فالذي لا يمكن أن يدْخلَه الاختلافُ هو أَنْ تركيبَ الكلام على أُصولِ النحو والصرف ، هو الذي يُحْدث في كلامٍ ما ميزةً يفوق بها كلاماً آخر . وهذا لا يتيسَّر معْرِفتَهُ إلّا بتحليلِ اللغةِ وتحليلِ مفرداتها وأدواتها ، وروابطها ، التي هي حروف المعاني ، عَملٌ لا يُنْتَهي فيه إلى غاية ، إلّا بعد الْحَصْرِ التامِّ للغة وتصاريفها ، ولا سيما حروف المعاني ، وبعد معرفةِ الفُروقِ الدقيقةِ التي تُحدثها هذه الحروفُ في مواقعها ، وبعد معرفةِ أَثَرِ هذه الفروقِ في تفضيل كلامٍ على كلام .

والشيخ – حفظه الله – لم يترك مجالا للاستدراك على عمله العظيم ، فكلّ ما أستطيع أن أقولَه ، إنّما هو ثَناءٌ مسْتَخْرَجٌ من عَملٍ يُثْنِي على نفْسِه ، ولكن بقي ما نتهاداه في هذه الحياة الدنيا ، وهو أن أدعُو الله له بالتوفيق ، وأن يزيدَه من فَضْله ، وأن يُعينَه على إتمامِ ما بدأَ ، وأن يجعل هذا العمل

(ر)

ذخيرةً له يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون .

محمود محمد شاكر

٢٠ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٢

٣١ مـن يـوليـــو سنة ١٩٧٢

صور من الموسوعة القرآنية فيها مقدمة و منهج الأستاذ الشيخ محمد عبد الخالق رحمه الله و سبب تأليف الكتاب:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذِي هَدانا لِهذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدانَا الله . والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنَا محمّدٍ أشرفِ المرسلين ، وخاتمِ النبيّين ، أُنْزل عليهِ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ، هُدىً للناس ، وبيِّناتٍ من الهُدَى والفُرْقَانِ .

وبعــدُ :

فهذا بَحْث رسَمْتُ خُطوطَه ، ونسجتُ خُيوطَه بقراءاتى . استهدفتُ أنْ أصنعَ للقرآن الكريم مُعْجَماً نحويّاً صَرْفيّاً ، يكون مَرْجِعاً لدارسِ النحوِ ، فيستطيعُ أنْ يعْرِف متى أراد : أوقَع مثْلُ هذا الأسلوبِ في القرآن أم لا ؟ وإذا كان في القرآن فهل وَرد كثيراً أو قليلا ، وفي قراءاتٍ متواترةٍ أو شاذَّة ؟ كما أنّه يستطيع أنْ يَحْتَكِم إليه في الموازنةِ بَيْنَ الأقوال المختلفة ؛ كما كان يفعل الصَّدْرُ الأوَّل في الاحتكام إلى كلام الفُصحاءِ ومشافهتهم قَبْلَ أَنْ يَدِبَّ اللَّحْنُ إلى الألْسِنةِ .

وَجَّه الفقهاءُ عِنايَتَهم إلى مَصْدَرِ الشريعةِ الأوّلِ ، وهو القرآن ، فأَحصَوْا آياتِ الأحكام ، وأشْبعُوا القولَ فيها ، والحديثَ عنها .

فالدارسُ للفقْه يستطيع بسهولة ويُسْرٍ أنْ يهتَدِىَ إلى الأحكام التي مصدَرُها القرآنُ ، والأحكام التي مصدرها غيره .

والقرآنُ الكريم حجَّةٌ في العربية بقراءاته المتواترة ، وغير المتواترة ؛ كما هو حجّةٌ في الشريعة . فالقراءة الشاذّة التي فَقَدت شَرْطَ التواتر لا تَقِلُّ

شأْناً عن أوثَقِ ما نُقِل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها . وقد أجْمَع العلماءُ على أنّ نَقْل اللغة يُكْتَفَى فيه برواية الآحاد .

ولو أراد دارسُ النحوِ أن يَحتكم إلى أُسلوب القرآن وقراءاته في كلِّ ما يَعْرِض له من قوانينِ النحوِ والصرف – ما استطاع إلى ذلك سبيلا ؛ ذلك لأنّ الشِّعْر قد استبدّ بِجُهْدِ النحاة ، فركَنُوا إليه ، وعوّلوا عليه ، بل جاوز كثيرٌ منهم حدّه ، فنسب اللحْن إلى القرّاءِ الأئمةِ ، ورماهم بأنّهم لا يدرون ما العربيةُ !

وكان تعويلَ النحويّين على الشِّعرِ ثُغْرةً نفذَ منها الطاعنون عليهم ؛ لأنّ الشِّعْر رُوِى بروايات مختلفة ؛ كما أنّه موضِعُ ضرورة .

لهذا مسَّت الحاجةُ إلى إنشاءِ دراسةٍ شاملة لأسلوبِ القرآن الكريم في جميع رواياته ؛ إذ في هذه القراءات ثروةٌ لغويّةٌ ونحويّة جديرةٌ بالدرسِ وفيها دفاعٌ عن النحوِ ؛ تعضد قواعدَه ، وتَدْعم شواهدَه .

بدأت هذه الدراسةَ في مكةَ المكرَّمة وفي بيت الله الحرام في شهر صفر سنة ١٣٦٦ – يناير سنة ١٩٤٧ ، وكان من ثمرة موالاة العملِ أن كتبت مجلّداتٍ ضخمةً سَعةُ المجلّدِ ألف صفحة ، وهذا تعريف بهذه المجلّدات :

١ – وجدت المصنّفين الذين عرضوا لَفهْرسةِ ألفاظ القرآن قد تناهت جُهودُهم عند حصْرِ ألفاظ الأفعالِ وبعْضِ الأسماءِ ، وإحصاءِ آياتها ، وتركوا هذا الإحصاء في الحروف والضمائر ، وأسماءِ الإشارة والأسماء الموصولة وبعضِ الظروف الكثيرة الذِكْرِ كإذ ، وإذا .

بدأت بإحصاءِ حروف المعاني ، وجمْع آياتها ، كذلك فعلت فى كلِّ ما

أغْفَلَتْ جمْعَه هذه الكتبُ :

١ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي – رحمه الله – .

٢ – المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته للأستاذ محمد فارس بركات .

٣ – فتح الرحمن لطالب آيات القرآن لفيض الله العلمي .

٤ – مفتاح كنوز القرآن .

نعم وقفت على كتابٍ أحصى لنا ألفاظَ القرآن ، لم يترك منها لَفْظاً وهو كتاب « مصْباح الإخوان ، لتحريّات القرآن » ، لجامعه الحافظ : يحيى حلمى بن حسين قسطموني ، غير أنّه لم يذكر الآيات ، وإنما اكتفى بذكْرِ أرقامٍ للآيات ، وهذه الأرقام ـــ مع الأسف ـــ يَشِيع فيها الاضطراب ولا سيما في طوالِ المفصَّل ، وقد اعتذر عن هذا في مقدّمة كتابه التي كتبها باللغة التركية ، اعتذر بأنّه لم يكن لديه مصحفٌ مرقَّمُ الآيات ، والمصحف المفسَّر لم يظهر إلّا بعد أن فرغ من كتابه .

شغل هذا الإحصاءُ منّى مجلّداً ضخماً .

٢ – نظرت في الكتب التي عُنِيت بإعرابِ القرآن ، وأهمُّها :

« البحر المحيط » لأبي حيّان ، « الكشاف » للزمخشري ، « إملاء ما منّ به الرحمن » للعكبري ، « البيان » للأنباري ، حاشية الجمل ، وغيرها ، لخّصت ما فيها من أعاريب ، ورتّبتها ترتيبَ أبوابِ النحو والصرف ، فشغل ذلك العمل مجلّدين كبيرين .

٣ – قرأت كتب القراءات : السبعية ، والعشرية ، والشواذّ ، وهي : شرح

الشاطبية لابن القاصح ، « غيث النفع في القراءات السبع » « النشر » في القراءات العشر لابن الجزري ، « إتحاف فضلاءِ البشر » للبناء ، « المحتسب » لابن جنى ، « شواذّ القرآن » لابن خالويه ، وأضفت إليها ما ضمه « البحر المحيط » من القراءات وتوجيهها ، لخّصت ما في هذه الكتب ورتبته ترتيبَ أبوابِ النحو والصرف ، فشغل ثلاثة مجلّدات .

٤ – رأيت أنّ الكتب المصنَّفة في فَهْرسةِ أَلْفاظ القرآنِ لا يَتَأَتَّى النفْعُ بها إلّا إذا رُتِّبت ألفاظُ القرآن تَرْتيبَ أبوابِ النحو والصرف ، فالباحث مثلا عن مصادرِ القرآن لا يستطيع أن يقع عليها في هذه الكتب إلّا إذا قرأها ، فإذا أراد البحث عن المشتقّات ، أو الأبنية ، أو صيغ الزوائد والأفعال كان عليه أن يقرأها مرّاتٍ ومرّات ، وهكذا دواليْكَ .

لذلك قمت بترتيبِ ألفاظ المصحف ترتيبَ أبواب النحو والصرف فجمعت في كلّ بابٍ ألفاظَه القرآنيةَ ، وبهذا يَسْهُل الوقوف على الآيات عن طريقِ هذه الألفاظ ، فجاء هذا العمَل في مجلّدين كبيرين .

هذه هي الْخُطُوات الأولى لهذا البَحث ، وهي خُطواتٌ تدور حوْل مرْحلةٍ واحدةٍ ، وهي مرْحلةُ الْجَمْعِ والإعداد . وقد كتبت عن هذه الْخُطُوات ، وسجَّلت بعْض الظواهر اللغوية في القرآن في مقالاتٍ نُشرت بمجلة الأزهر بدأت من عدد رجب سنةَ ١٣٧٩ – يناير سنة ١٩٦٠ بعنوان : « دراسات لأسلوب القرآن الكريم » ثمّ توقّفت عن متابعة الكتابة ؛ إذْ كنت لا أدري متى أنتهي من دراسة حروف المعاني .

منْهجِي في تَسْجِيل الظواهر اللغوية في القرآن :

أمّا في دارسةِ حروف المعاني فكنت أبدأ بقراءة ما ذكره النحويون عن

الحرف مبتدئاً بكتاب سيبويه ومنتهياً بابن هشام وأجْمعُ النصوص ، ثمّ أرجِعُ إلى كُتُب التفسير والإعراب في آيات كلِّ حرف آيةً آيةً وأجمعُ نصوصها أيضاً ثمّ أُنعم النظر في آيات كلِّ حرفٍ وما فيه من قراءات ، وأُسجِّل الظواهر اللغويةَ والنحويةَ على ضَوْءِ ما جمعته من النصوص .

هل كان للنحويّن استقراء للقرآن في جميع رواياته ؟

لو رجعنا إلى كتب النحو لوجدنا فيها رجوعا إلى القرآن في بعض المسائل من ذلك :

١ – قال سيبويه عن الاستثناء المنقطع : هو كثير في القرآن ١:٣٦٦ .

٢ – أوجب الزجّاج توكيد المضارع بعد (إن) الشرطية المدغمة في (ما) ، أى (إمّا) لأنّه لم يقع في القرآن إلّا مؤكّداً .

٣ – قال ابن مالك في شرح « الكافية الشافية » ٢:٢٤٤ : وإلغاؤها (إذن) أجودُ وهي لغة القرآن التي قرأ بها السبعة في قوله تعالى : ﴿ **وإذا لا يلبثون خلافك إلّا قليلا** ﴾ .

٤ – قال الرضى في شرح الكافية ٢:٢٤٢ : « لم يأت في الكتاب العزيز أن يكون الشرط مضارعا ، والجواب ماضياً » .

٥ – لم يقع بعد (سواء) إلّا الجملةُ الفعلية التي فِعْلُها ماضٍ ، ولذلك استهجن الأخفشُ وُقُوعَ الإسميةِ ، والفعليةِ التي فِعْلُها مضارعٌ بَعْدَها .

قال أبو على في « الْحُجّة » : « وممّا يدلّ على ما قال الأخفش أنّ ما جاء في التنزيل من هذا النحو جاء على مثال الماضي » . الرضى ٢:٣٤٩ .

٦ – قال ابن هشام عن واو المفعول معه : « لم تأت واوُ المعيّةِ في القرآنِ

بِيَقِينٍ » المغنى ٢:٣٤

٧ – ليس في التنزيل نداءٌ بعير (يا) المغنى ١:١٠ .

٨ – جَرُّ (لدن) بمن أكثر من نصبها ، حتّى إنّها لم ترد في التنزيل منصوبةً . المغنى ١:١٣٦

كذلك نرى سيبويه يستشهد بالقرآن وببعض القراءات ما تواتر منها وما لم يتواتر . ولو قِيسَ استشهادُه بالقرآن باستشهاده بالشعر لوجدنا الشِّعْرَ قد غَلب عليه واستبدّ بجهده ، فشواهده الشعرية كما ذكر أبو جعفر النحاس في شرحه للشواهد (١٠٥٠) ، وهي في النسخة المطبوعة بمصر (١٠٦١) على حين أنّ استشهاده بالقرآن لم يتجاوز (٣٧٣) ، وذلك كإحصاء الأستاذ النجدي في كتابه عن سيبويه ص ٢٣٥ .

وكذلك صنع المبرّد في « المقتضب » .

* * *

وللنحويّين قوانينُ كثيرةٌ لم يحْتكِمُوا فيها لأسلوبِ القرآن ؛ فمنعوا أساليبَ كثيرةً جاء نَظِيرُها في القرآن ، من ذلك :

١ – ذكر سيبويه قُبْحَ (كُلٍّ) المضافةِ إلى نكرة في أَنْ تَلِيَ العوامل ، فقال ١:٢٧٤ : « أكلت شاة كُلَّ شاةٍ حسنٌ ، وأكلت كلَّ شاةٍ ضعيفٌ » .

جاءت (كلّ) المضافة إلى نكرة مفعولا به في ٣٦ موضعاً في القرآن ، كما تصرّفت في وجوه كثيرة من الإعراب ، انظر بحث (كلّ)

٢ – منع السهيلي أن تلي (كلّ) المقطوعةُ عن الإضافة العوامل ؛ نحو : ضربت كُلّا ، ومررت بِكُلٍّ . نتائج الفكر ص ٢٢٧ .

جاءت (كُلٌّ) المقطوعة عن الإضافة مفعولا به ، ومجرورة بالحرف مُتأخّرةً عن فعلها في آيات من القرآن .

٣ – اشترط الزمخشري في خبر (أنّ) الواقعةِ بعْدَ (لو) أن يكون خبرها فعْلاً . المفصَّل ٢١٦:٢ .

جاء خبرها في القرآن اسماً جامداً ، واسماً مشتقّاً .

٤ – منع ابن الطراوة أن يقع المصدرُ المؤوّلُ من (أن) والفِعلِ مضافا إليه . الهمع ٣:٢ .

جاء المصدر المؤوّل من (أنْ) والفِعْلِ مضافاً إليه في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن .

٥ – منع النحويون وُقوع الاستثناء المفرّغ بَعْد الإيجاب ، وعلّلوا ذلك بأنّ وُقوعه بَعْد الإيجاب يتضمّن المحال أو الكذب .

وفي القرآن ثماني عشرة آيةً وقع فيها الاستثناءُ المفرّغ بَعْد الإيجاب ، وفي بَعْضِها كان الإيجاب مؤكَّداً مما يُبْعد تأويلَه بالنفي ؛ كقوله تعالى :

١ – ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ ٤٥:٢ .

٢ – ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ﴾ ١٤٣:٢

٣ – ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ ٦٦:١٢ .

كذلك منع النحويّون أن يجيءَ الاستثناءُ المفرّغ بعد (ما زال) وأخواتها وجعله ابن الحاجب والرضى من المحال وعلّلا ذلك .

وهذا المحال في نظر ابن الحاجب والرضى جاء في قوله تعالى :

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ٩:١١٠ .

والعجيب أنّ المفسّرين والمعربين اعتصموا بالصمت ، فلم يتحدّث واحد منهم عن الاستثناء في هذه الآية .

٦ – اشترط الرضى لوقوع الفِعْلِ الماضي بعد (إلّا) شرطين :

(ا) أن يتقدّم (إلّا) فعْلٌ ماضٍ (ب) أن يقترن الماضي بقد .

جاء الفعل بعد (إلّا) وليس فيه أحد الشرطين في ثمانية عشر موضعاً انظر ص ١٨٨ من الجزء الأوّل .

٧ – منع ابن عصفور أن تقع الجملةُ الطلبيةُ خبراً لإنّ ، وقد جاء ذلك في مواضع من القرآن .

٨ – زعم السهيلي في الروض الأنف ١:٢٨٦ ، ونتائج الفكر ص ٧٩ أنّ السين وسوف لهما صدْر الكلام ؛ فلا يتقدّم عليهما معمول ما بعدهما ، وتابعه على ذلك ابن القيّم في بدائع الفوائد ١:٨٩–٩٠ .

وفي القرآن : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ٣٠:٣ .

وقد زعما ذلك أيضاً في (قد) . انظر بحث (قد) .

٩ – جاء جواب (إذا) الشرطية مقترنا باللام في قوله تعالى : ﴿ أَئِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ١٩:٦٦ كما جاء في شعر المرّار بن منقذ .

وقال الأستاذان محقّقَا المفضّليات طبع دار المعارف ص ٩٢ : « لم نجد

ونرى في كتب النحو ذِكْرَ بَعْضِ المسائلِ من غيرِ استشهادٍ لها بكلام العرب ، أو القرآن على حين أنّ شواهدها في القرآن كثيرةٌ جدّاً في شرح الشافية للرضى ١:٤٦ : « يحكى عن الأخفش أنّ كلّ (فُعْلٍ) في الكلام فتَثْقِيلُهُ جائزٌ ، إلّا ما كان صِفةً أو مُعْتلَّ العَيْنِ كحُمْرٍ وسُوْقٍ فإنّهما لا يُثَقّلان إلّا في ضروةِ الشعر ، وكذا قال عيسى بن عمر : إنّ كلّ (فُعْلٍ) كان فمن العرب من يُخَفِّفه ، ومنهم من يُثَقِّلُه ؛ نحو : عُسْرٍ ويُسْرٍ » .

كلّ ما كان على (فُعْلٍ) في القرآن فقد قرىء فيه بالتثقيل في القراءات المتواترة (العسر ، اليسر ، عسرة ، العسرى ، جزء ، الرعب ، رعبا ، نكرا ، رحما ، سحقا ، عذرا) .

انظر النشر ٢:٢١٦ – ٢١٧ ؛ ٢٢٦ :
شرح الشاطبية ١٦٥ ، ١٧٧ ، ٢٧٦ – ؛
غيث النفع ٥٥ ، ٧٠ ، ١١٢ ، ١٤٥
الإتحاف : ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ٢٣٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥ ، ٢٨٩ .

أضف إلى هذا أنّ النحويين كَثُرَ منهم تَلْحِينُ القرَّاءِ الأئمة ، يستوى عندهم في ذلك القراءات المتواترة وغيرها ، وسنعرض لذلك بتفصيلٍ وافٍ ، إن شاء الله .

* * *

لقد سجَّلت كثيراً مما فات النحويين ، وليس من غَرَضِي أن أَتَصَيَّدَ أَخطاءَهم وأَرُدَّ عليها .

ولست أقولُ بأنّ القرآن قد تضمّن كُلَّ الأحكام النحوية ، فالأساليبُ

التي لم يرد نظيرها في القرآن لا يُلتفت إليها ، ولا يُعمل بها ، وإنما أقول : ما جاء في القرآن كان حُجّةً قاطعة ، وما لم يقعْ في القرآن نلتمسه في كلام العرب ونظيرُ هذا : الأحكامُ الشرعيةُ ، إذا جاء الحكم في القرآن عُمِلَ به ، وإن لم يرِدْ به نَصٌّ في القرآن نلتمسْهُ في السنة وفي غيرها .

وقد أوقفتني دراستي للقرآن على أنّ القرآن خلا ممَّا يأتي :

١ – توكيد فِعْلِ الأمر بالنون مع كثرته في القرآن ، والمضارع المجزوم بلام الأمر ، والمضارع بَعْدَ التمني والترجي ، والعرض ، والتحضيض .

وقع المضارع المثبت كثيراً بَعْدَ أدوات الاستفهام وخلا من التوكيد إلّا في آية واحدة ﴿ **فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ** ﴾ .

٢ – لم يقع خبر (لا) النافية للجنس اسماً صريحاً مفرداً ، وإنما جاء ظرفا وجاراً ومجروراً .

٣ – عطف (ثمّ) للاسم المفرد لم يقع في القرآن ، وإنما جاءت عاطفةً للجملة .

* * *

الناظر في كتب إعراب القرآن وكتب التفسير يَلْحَظُ كَثْرَةَ اختلافِ النحويين في إعرابِ القرآنِ . ومَرْجِعُ هذا – فيما أظنّ – إلى أمرين :

١ – أسلوبُ القرآنِ مُعْجِزٌ ، لا يستطيع أحدٌ أن يُحيط بكلِّ مراميه ومقاصده ؛ فاحتملَ كثيراً من المعاني ، وكثيراً من الوجُوه .

٢ – يحتفظ النحويون لأنفسهم بحرية الرأي وانطلاق الفكر ، فلا يعرفون الْحَجْر على الآراءِ ، ولا تقديس رَأْيِ الفَرْدِ مهما عَلَتْ مَنْزِلَتُه .

قال أبو الفتح : « اعلم أنّ إجماعَ أَهْلِ البلدين إنما يكون حُجّةَ إذا أعطاك خَصْمُك يدَه ألّا يُخَالِفَ المنصوص ، والمقيس على المنصوص ، فأمّا إن لم يُعطِ يدَه بذَلك فلا يكون إجماعُهم حُجّةً عليه . وذلك أنّه لم يرِدْ ممّنْ يُطاع أمْرُه في قرآنٍ ولا سُنَّةٍ أنّهم لا يجتمعون على الخطأ ، كما جاء النصّ عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قوله : « **أمّتي لا تجتمع على ضلالة** » وإنما هو علم مُنْتَزَعٌ من استقراءِ هذه اللغة ، فكلُّ من فُرِقَ له عن علَّةٍ صحيحة ، وطريقٍ نَهْجَةٍ كان خَلِيلَ نَفْسِه ، وأَبَا عَمْرو فِكْرِه » الخصائص ١:١٨٩–١٩٠ .

ويقول أبو حيان : لسنا متعبّدين بمذهب البصريين .

سيبويه إمام البصريين غير منازع ولا مدافعٍ تعرّض كتابه لنقد من نحاة البصرة : الأخفش ، المازني ، المبرّد ، وما أكثر ما استعمل المبرد الأسلوب اللاذع في نقد سيبويه ، حتى ابن القيم وهو ليس معدوداً في النحاة – يقول في البدائع ٣:٢٨ : « فسيبويه – رحمه الله – ممّن يؤخذ من قوله ويترك ، وأمّا أن يعتقد صحة قوله في كلّ شيء فكلّا » . ولم يكن هذا صادراً عن صَلَف وكِبْرياء ، فللنحويين تواضعٌ عجيب : سيبويه الذي أثار إعجابَ الناس بكتابه ، وظفِرَ بتقديرهم لم يبدأْه بخطبة يكشِفُ فيها عن جُهوده ، وإنما بدأه بالبسملة ثم دخل إلى الموضوع وكذلك فعل المبرّد في « المقتضب » .

نظر الخليل في فقه لأبي حنيفة ، فقيل له : كيف تراه ؟ .

فقال : أرى جِدًّا وطريقَ جِدّ ، ونحن في هَزْلٍ وطريقِ هَزْلٍ . مراتب النحويين ص ٦٤-٦٥ .

وقال ثعلب : اشتغل أَهْلُ القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أَهل الحديثِ بالحديث ففازُوا ، واشتغل أَهْل الفِقْهِ بالفقه ففازوا ، واشتغلتُ أنا بزيد وعمرو ، فياليت شِعْرِي ماذا تكون حالي في الآخرة ؟ .

طريقة العرض : رأيت أن أُقدِّمَ أمامَ دِراسة كلِّ حَرْفٍ صورةً واضحةً موجزةً لعناصر الدراسةِ التفصيلية ، واخترت لها عنوان : (لمحات عن دراسة ...) وهذه اللمحات أشبه بما تفعله الإذاعاتُ في صَدْرِ نَشَراتها الإخباريةِ من تقديم مُوجَز الأنباءِ ، وآثرت هذا المنهج لأمرين :

١ – تقريب هذه الدراسة إلى نُفوس القرّاءِ على اختلافِ درجاتهم الثقافية ، وتيسيرها لهم ، فمن شاء اكتفى بهذا القَدْرِ ومن شاء رجع إلى الدراسة التفصيلية .

٢ – كفل هذا المنهج لي حُريةَ نَقْل النصوص في الدراسة التفصيلية ، وفي اعتقادى أنّ البُحوث النحوية إن لم ترتكز على النصوص كانت كلاما إنشائياً أجوفَ لا غناءَ فيه ، والوقوفُ على النصوص في كُتبِ النحو يحتاج إلى بَذْل الْجُهْدِ ، وقد جعلت كتابي قائماً برأسه ، مستغنياً بنفسه ، لا يحتاج الناظر فيه إلى الرجوع إلى شيء من كتب النحو ، كما حشدت له المراجع الكثيرة ، وسيرى القارىء كُتبَ النحو والإعراب والتفسير في كلِّ مسألةٍ ، ولا يَعْنِي هذا أتّفاقَها في كلِّ التفصيلات ، وإنما كُنْتُ أتخيَّرُ أوضح ما فيها ، ثمّ أُشير إلى بقيّةِ المراجع ليسهل الرجوع إليها .

ولما كان البحر المحيط لأبي حيّان أهمَّ كُتب الإعراب ، وأجْمَعَها فائدةً

وأكثرها تفصيلا فقد كان لي معه مناقشاتٌ ، إذْ رأيته حريصاً على تخطئة الزمخشري في الكشاف فيدعوه ذلك إلى تخطئته والردِّ عليه ، ثمّ يعود فيما بعْدُ إلى قَوْل الزمخشري ناسياً أنّه خطَّأه وضعَّف رأْيه ، لذلك كان تصوير مذهب أبي حيّان متوقِّفا على متابعة أحاديثه في البحر المحيط .

* * *

قد يقول قائل : إنّ ابن هشام قد أغنى القرّاءَ في دراسة الحروف والأدوات بكتابه « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » فما الذي جاء به كتابك بعده ؟ .

وأكتفي في الجواب بهذه الموازنة : تكلّم ابن هشام عن (إلّا) الاستثنائية في القرآن وفي كلام العرب ، فلم يتجاوز حديثه (٥٠-٦٠) سطْراً على اختلاف طبعات المغنى ، واستغرق حديثي عن (إلّا) الاستثنائية في القرآن وحده (١٥٣) صفحة ، تزيد عن ثلاثة آلاف سطر .

وابن هشام يقول في المغني ٢:١٧٧ : « لأنّي وضعت كتابي لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعاً » .

وقيل له : هلا فسّرت القرآن أو أعربته ؟ ، فقال : أغناني المغني .

* * *

فرحم الله تبارك و تعالى شيخنا و أستاذنا و إمامنا رحمة واسعة و أسكنه فسيح جناته، و تقبل منا و منه هذا العمل الجليل و المبارك، و الذي أسأل الله أن يهيئ من عباده الباحثين و الدارسين لعلوم القرآن و تفسيره، حتى يكتشفوا مزيداً من ابتكاراته و إبداعات هذا الإمام الجليل في هذا الفن. هذا التقديم الموجز من العبد الضعيف كاتب هذه السطور لم يكن إلا تشويقاً و تحبيباً و تقديماً لشخصية علمية فذة، فتح الله عليه في هذا الفن ما لم يفتحه على من سبقه و لا على من لحقه إلى يومنا هذا بهذا الفتح الرباني العظيم، نحسبه كذلك و الله حسيبه و لا نزكي على الله أحداً، و صلى الله على سيدنا و نبينا محمد و على آله و أصحابه و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المدينة النبوية الشريفة

١٤٣٠/٦/٦ هـ

الموافق

٢٠٠٩/٦/٣١ م